﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢﴾ [النّحل: 41 - 42]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتينِ لما قَبْلَهُما:

الرَّبط بين إرادة الله فيما يريد، وجزاء المهاجرين بالتمكين في الدُّنيا وأجر الآخرة

لَمّا كانَ التَّقْديرُ تَفْصيلًا لفريقي المبَيَّنِ لهم، وتَرْغيبًا في الهِجْرَةِ؛ لأنَّها بَعدَ الإيمانِ أوثقُ عُرى الإسلام، فالَّذينَ كَفَروا واغْتَرّوا بِما شاهَدوه مِنَ العَرَضِ الفاني، لَنُخْزِيَنَّهُم في الدُّنْيا والآخِرَةِ، ولَنُجازِيَنَّهم بجميعِ ما كانوا يَعْمَلونَ؛ عُطِفَ عَلَيْهِ قَولُهُ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾؛ لِبيانِ ثَوابِ الَّذينَ هاجَروا في سبيلِ اللّه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿هَاجَرُواْ﴾: هاجَرَ يُهاجِرُ مُهاجَرَةً وهِجْرَةً، مِنَ التَّرْكِ، والهاءُ والجيمُ والرّاءُ أصْلانِ يَدُلُّ أحَدُهُما عَلى قَطيعَةٍ وقَطْعٍ، والآخَرُ عَلى شَدِّ شَيْءٍ ورَبْطِهِ، والمقْصودُ هُنا الأوَّلُ، فالهِجْرُ: ضِدُّ الوصْلِ، وكَذَلِكَ الهِجْرانُ، وهاجَرَ القَوْمُ مِنْ دارٍ إلى دارٍ: تَرَكوا الأولى لِلثّانِيَةِ، كَما فعَلَ المهاجِرونَ حينَ هاجَروا مِنْ مَكَّةَ إلى المدينَةِ[2]، ويُطْلَقُ هَذا اللَّفْظُ في القرْآنِ بِمَعْنى الخروجِ مِنْ دارِ الكفْرِ إلى دارِ الإيمانِ كَمَنْ هاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إلى المدينَةِ[3]، وهوَ المعْنى المرادُ في الآيَةِ.

2) ﴿ظُلِمُواْ﴾: ظَلَمَ يَظْلِمُ ظُلْمًا، مِنَ الجَوْرِ والنَّقْصِ، والظّاءُ واللّامُ والميمُ أصْلانِ صَحيحانِ، أحَدُهُما خِلافُ الضّياءِ والنّورِ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 164.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هجر).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (هجر).

والآخَرُ وضْعُ الشَّيْءِ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ تَعَدِّيًا، فالأوَّلُ الظُّلْمَةُ، والجمعُ ظُلُماتٌ، والظَّلامُ: اسْمُ الظُّلْمَةِ، والأصْلُ الآخَرُ: ظَلَمَهُ يَظْلِمُهُ ظُلْمًا، وهو وضْعُ الشَّيْءِ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ، ويُقالُ: ظَلَّمتُ فُلانًا: نَسَبْتُهُ إلى الظُّلْمِ، وظَلَمتُ فُلانًا، فاظَّلَمَ وانْظَلَمَ، إذا احْتَمَلَ الظُّلْمَ، والأرْضُ المظْلومَةُ: الَّتي لَم تُحْفَرْ قطُّ، ثُمَّ حُفِرَتْ، وذَلِكَ التُّرابُ ظَليمٌ[1]، ويَدورُ مَعْنى مادَّةِ (ظَلَمَ) حَوْلَ حَجْبِ ما يَنْبَغي أوْ ما يُسْتَحَقُّ، أيْ: مَنْعه أو انتقاصه، والظُّلْم في القرآنِ الكريم فُسِّرَ بـ (الجوْرِ ومجاوزةِ الحدِّ)، وهوَ لا يَخْرُجُ عَنِ انْتِقاصِ المسْتَحِقِّ؛ والظَّلَمَةُ: المانِعونَ أهْلَ الحقوقِ حُقوقَهُم[2]، فيَكونُ مَعْنى الظُّلْمِ في الآيَةِ أنَّ المؤمِنينَ قَدْ مُنِعوا حُقوقَهُم، وتَجاوَزَ الكفّارُ الحدَّ في أذِيَّتِهِم وتَعْذيبِهِم.

3) ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾: بَوَّأَ يُبَوِّئُ تَبْوِيئًا، مِنَ الإسْكانِ، والباءُ والواوُ والهمزَةُ أصْلانِ: أحَدُهُما الرُّجوعُ إلى الشَّيْءِ، والآخَرُ تَساوي الشَّيْئَيْنِ، فالأوَّلُ الباءَةُ والمَباءَةُ، وهِيَ مَنْزِلَةُ القوْمِ، والمباءَةُ أيْضًا: مَنْزِلُ الإبِلِ حَيْثُ تُناخُ في المواردِ، يُقالُ: قَدْ أباءَها الرّاعي إلى مَبائِها فتَبَوَّأَتْهُ، وبَوَّأها إيّاهُ تَبْوِيئًا، ويُقالُ: فُلانٌ حَسَنُ البيئَةِ عَلى فِعْلَةٍ، مِنْ قَوْلِكَ: تَبَوَّأْتُ مَنْزِلًا[3]، وقَدْ جاءَ في القُرْآنِ الكَريمِ من اسْتِعْمالاتِ هَذا الجذْرِ صيغَتانِ: (باءَ بِـ)، كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 162]، بِمَعْنى الرُّجوعِ، والصّيغَةُ القرآنِيَّةُ الأخْرى مِنْ هذا التَّرْكيبِ، هِيَ: (بَوَّأَ)، وكُلُّها بِمَعْنى الإقْرارِ في مَكانٍ مُهَيَّأٍ مُناسِبٍ، كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: 74][4]، وهَذا هوَ المعْنى المرادُ في الآيَةِ، فقَدْ وعَدَ اللّه سُبْحانَهُ المهاجِرينَ في سَبيلِهِ بِأنْ يُنْزِلَهُم في دارٍ حَسَنَةٍ في الدُّنْيا، وهِيَ المدينَةُ، وأنْ يُسْكِنَهُم في الآخِرَةِ الجنَّةَ.

4) ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾: أصْلُها مِنْ جِذْرِ (أخر)، والهمزَةُ والخاءُ والرّاءُ أصْلٌ واحِدٌ، إلَيْهِ تَرْجِعُ فُروعُهُ، وهوَ خِلافُ التَّقَدُّمِ[5]، والآخِرُ نَقيضُ المتَقَدِّمِ، والآخِرُ يُقابَلُ بِهِ الأوَّلُ، وكُلُّ ما في القُرْآنِ مِنْ (آخَر) ومُثَنّاه وجَمعِهِ، و(أُخْرى) وجَمعِها (أُخَر)؛ فهوَ مِنْ هَذا المعْنى[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظلم).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (ظلم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بوأ).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (بوأ).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أخر).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (أخر).

وَيُعَبَّرُ بالدّارِ الآخِرةِ عَنِ النَّشْأةِ الثّانيَةِ، كَما يُعَبَّرُ بِالدّارِ الدُّنْيا عَنِ النَّشْأةِ الأولى، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: 64]، ورُبَّما تُرِكَ ذِكْرُ الدّارِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ [هود: 16][1]، فيَكونُ مَعْنى أجْرِ الآخِرَةِ في الآيَةِ هوَ الأجْرُ الَّذي سَيَنالُهُ المهاجِرونَ في سَبيلِ اللّه يَومَ القيامَةِ عِنْدَ النَّشْأةِ الثّانيَةِ.

5) ﴿صَبَرُواْ﴾: صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْرًا، وهوَ الإمساكُ في ضيقٍ، يُقالُ: صَبَرْتُ الدّابَّةَ: حَبَسْتُها بِلا عَلَفٍ، وصَبَرْتُ فُلانًا: حَلَّفْتُهُ حَلْفةً لا خُروجَ لَهُ مِنْها، والصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ[2]، والصَّبْرُ شَرْعًا نَقيضُ الجزَعِ، وحَقيقَتُهُ: الثَّباتُ لِلمُصيبَةِ أوِ المشَقَّةِ، والتَّماسُكُ والاسْتِمرارُ فيما هوَ فيه، وعَدَمُ الانقطاعِ أوِ الزَّوالِ عَنْهُ، ومِنْهُ قَولُهُ تَعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [البقرة: 45]، أيْ: بالثَّباتِ عَلى ما أنْتُم عَلَيْهِ مِنَ الإيمانِ، وكُلُّ ما في القرآنِ مِنْ هَذا التَّرْكيبِ فهوَ بِمَعْنى الثَّباتِ عِنْدَ الشِّدَّةِ، أوِ المجاهَدَةِ[3]، ومِنْهُ الصَّبْرُ في هَذِهِ الآيَةِ ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾، أي: الَّذينَ ثَبَتوا عِنْدَ الشَّدائِدِ، وحَبَسوا أنْفُسَهُم عَلى دينِ اللّه، بامتِثالِ أوامِرِهِ ونَواهيهِ.

6) ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: تَوَكَّلَ يَتَوَكَّلُ تَوَكُّلًا، مِنَ الاعْتِمادِ، والواوُ والكافُ واللّامُ: أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلَى اعْتِمادِ غَيْرِكَ في أمرِكَ، مِنْ ذَلِكَ الوُكَلَةُ والوُكَلُ: الرَّجُلُ الضَّعيفُ، يَقولونَ: وُكَلَةٌ تُكَلَةٌ، والتَّوَكُّلُ مِنْهُ، وهوَ إظْهارُ العجْزِ في الأمرِ، والاعْتِمادُ عَلى غَيْرِكَ، وواكَلَ فُلانٌ، إذا ضَيَّعَ أمرَهُ مُتَّكِلًا عَلى غَيْرِهِ[4]، والوكيلُ فعيلٌ بِمَعْنى المفْعولِ، قالَ تَعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١﴾ [النّساء: 81] أي: اكْتَفِ بِهِ أنْ يَتَوَلّى أمرَكَ، ويَتَوَكَّلَ لَكَ، وعلى هَذا قَوْلُنا: (حَسْبُنا اللّه ونِعْمَ الوكيلُ)[5]، ويَدورُ مَعْنى هذِهِ المادَّةِ حولَ تَفْويضِ القِيامِ بأمرٍ إلى مَنْ فيه الكِفايَةُ لِلْقِيامِ بِهِ[6]، فيَكونُ مَعْنى ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ في الآيَةِ: تفويض المؤمِنينَ أمرَهُم مِنَ الهجْرَةِ وغَيْرِها إلى اللّه، مُعْتَمِدينَ عَليهِ في جَميعِ مَساعيهِم.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يَعِدُ اللّه تَعالى الَّذينَ تَرَكوا دِيارَهُم مِنْ أجْلِهِ فهاجروا بَعْدَما وقعَ عليهمُ الظُّلْمُ؛ بِأنْ

(1) الرّاغب، المفردات: (أخر).
(2) الرّاغب، المفردات: (صبر).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (صبر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وكل).
(5) الرّاغب، المفردات: (وكل).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (وكل).

يُسْكِنَهم في الدُّنيا دارًا حَسَنة، ولَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ؛ لأنَّ ثَوابَهم فيها الجَنَّةُ، ولَوْ كانَ المتَخَلِّفونَ عَنِ الهِجْرَةِ يَعْلمونَ عِلمَ يقينٍ ما عِنْدَ اللّه مِنَ الأجْرِ والثَّوابِ للمُهاجِرينَ في سَبيلِه؛ ما تَخلَّفَ مِنْهُم أحدٌ عَنْ ذَلِكَ، فهَؤُلاءِ المهاجِرونَ في سبيلِ اللّه همُ الَّذينَ صَبَروا عَلى أوامِرِ اللّه وعَنْ نَواهيهِ وعَلى أقْدارِهِ المؤْلِمةِ، وعَلى رَبِّهم وحدَهُ يَعْتَمِدونَ، فاسْتَحَقّوا هَذِهِ المنْزِلَةَ العَظيمَةَ[1].

وَعْدُ اللّه المهاجِرينَ بالثَّوابِ الأوفى في الدّارين

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالَةُ (الواوِ) في مطلع الآية الكريمة:

وَرَدَ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ مَعْطوفًا بالواوِ عَلى جُملَةِ ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾؛ لِلمُقابَلَةِ في البيانِ بَيْنَ مَصيرِ الكافِرينَ ومَصيرِ المؤمِنينَ، فلَمّا تَبَيَّنَ أنَّ الَّذينَ كَفَروا كانوا كاذِبينَ؛ عُلِمَ مِنْهُ أنَّ الَّذينَ آمَنوا كانوا صادِقينَ بِدَلالَةِ المضادَّةِ، وأنَّهُم مُثابونَ ومُكَرَّمونَ، وأُدْمِجَ مَعَ ذَلِكَ وعْدُهُم بِحُسْنِ العاقِبَةِ في الدُّنْيا، مُقابَلَةً بِوَعيدِ الكافِرينَ بِسوءِ العاقِبَةِ فيها[2].

مُقابَلَةُ مَصيرِ الكافِرينَ الكاذِبينَ، بِمَصيرِ المؤمِنينَ الصّادِقينَ

دَلالَةُ حَرْفِ الجرِّ من شبه الجملة ﴿فِي ٱللَّهِ﴾:

وَرَدَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ﴾، اسْتِعْمالُ حَرْفِ الجرِّ ﴿فِي﴾ الدّالِّ أصالَةً عَلى الظَّرْفِيَّةِ، بِمَعْنى أنَّهُم هاجَروا في ذاتِ المَلِكِ الأعْلى الَّذي لَهُ صِفاتُ الكمالِ[3]، فتَكونُ ﴿فِي﴾ عَلى ظاهِرِها مِنَ الظَّرْفِيَّةِ، إشارَةً إلى أنَّها هِجْرَةٌ مُتَمَكِّنَةٌ تَمَكُّنَ الظَّرْفِ في مَظْروفِهِ، وهِيَ ظَرْفِيَّةٌ مَجازِيَّةٌ[4]، ويُحتَمَلُ أيْضًا أنْ تَكونَ ﴿فِي﴾ مُسْتَعْمَلَةً في التَّعْليلِ، أيْ: لِأجْلِ اللّه، والكَلامُ عَلى تَقْديرِ مُضافٍ

تَمَكُّنُ الهِجْرَةِ في قُلوبِ المؤمِنينَ تَمَكُّنَ الظَّرْفِ في مَظْروفِهِ

(1) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 271.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 157.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 164.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 384.

يَظْهَرُ مِنَ السّياقِ، تَقْديرُهُ: هاجَروا لِأجْلِ مَرْضاةِ اللّه[1]، ونَظيرُهُ قَوْلُهُ ﷺ: "إنَّ امرأةً دَخَلَتِ النّارَ في هِرَّةٍ"[2].

نُكْتَةُ إيثارِ الاسْمِ المَوْصولِ (الَّذينَ) وصلَتِهِ:

الهِجْرَةُ في سَبيلِ اللهِ سَبَبُ الفَوْزِ بِحَسَنَةِ الدُّنْيا والآخِرَةِ

جاءَ التَّعْبيرُ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، بالاسْمِ المَوْصولِ وجُملَةِ صِلَتِهِ؛ لِلتَّنْصيصِ عَلى سَبَبِ فَوْزِهِم بِثَوابِ الدُّنْيا والآخِرَةِ، وهوَ هِجْرَتُهُم في سَبيلِ مَرْضاةِ اللّه، فتَرَكوا دِيارَهُم مِنْ أجْلِ اللّه، بَعْدَما وقَعَ عَلَيْهِمُ الظُّلْمُ، فوَعَدَهُمُ اللّهُ بِدارٍ حَسَنَةٍ في الدُّنْيا، وثَوابٍ أكْبَرَ في الآخِرَةِ، وهوَ الجنَّةُ، فوَضْعُ المَوْصولِ مَوضِعَ الاسْمِ يَسْمَحُ بِوَصْفِهِ بجملة الصِّلَةِ، والغَرَضُ مِنْهُ الإشعارُ بِعِلَّةِ الحكْمِ[3].

دلالة التعبير بالماضي: ﴿هَاجَرُواْ﴾:

الوعْدُ بِالأجْرِ العظيمِ، لِكُلِّ مهاجِرٍ كريم

وَرَدَ الفِعْلُ ﴿هَاجَرُواْ﴾ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ﴾، بِصيغَةِ الماضي؛ لأنَّ الإخْبارَ عَنِ الشَّيْءِ بِصيغَةِ الماضي يَقْتَضي كَوْنَ المُخْبَرِ عَنْهُ مُتَقَدِّمًا عَلى ذَلِكَ الإخْبارِ[4]، فقَدْ ذُكِرَ في سَبَبِ نُزولِ الآيَةِ: أنَّ المَقْصودَ بِها مَنْ هاجَرَ إلى أرْضِ الحبَشَةِ مِنَ المُسْلِمينَ، أوِ الَّذينَ هاجَروا إلى المدينَةِ الهِجْرَةَ الأولى قَبْلَ هِجْرَةِ النَّبيِّ ﷺ وبَقِيَّةِ أصْحابِهِ ﷺ، مِثْلِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وأصْحابِهِ، إنْ كانَتْ هَذِهِ الآيَةُ نازِلَةً بَعْدَ الهِجْرَةِ الأولَى، وكِلا الاحتِمالَيْنِ لا يُنافي كَوْنَ السّورَةِ مَكِّيَّةً[5]، ولا يَقْتَضي تَخْصيصَ أولَئِكَ بِهَذا الوعْدِ؛ لأنَّ الإخبارَ كَذَلِكَ بِصيغَةِ الماضي مُضَمَّنُهُ الدَّوامُ والاستِمرارُ[6]، فكُلُّ مَنْ يُهاجِرُ في سَبيلِ اللّهِ يَنالُ الموعودَ مِنْ ثَوابِ الدُّنْيا والآخِرَةِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 157.
(2) متّفق عليه: البخاريّ، الحديث رقم: (3318)، ومسلم، الحديث رقم: (2619).
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 113.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 2/ 283.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 158.
(6) الثّعالبيّ، الجواهر الحسان: 5/ 377.

دَلالَةُ تَحْديدِ الفِعْلِ ﴿هَاجَرُواْ﴾ دونَ الوِجْهَةِ:

العِبْرَةُ بالهِجْرَةِ في سبيلِ الله، على العُمومِ دونَ الوِجْهَةِ

لم يَرِدْ في قَوْلِه تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ﴾، ذِكْرُ وِجْهَةِ الهِجْرَةِ للفِعْلِ ﴿هَاجَرُواْ﴾؛ لأنَّ سِياقَ الآيَةِ التَّرْكيزُ عَلى الفعْلِ في ذاتِه (وَهوَ الهِجْرَةُ في سَبيلِ اللّه) دونَ تَقْييدٍ بِوِجْهَةٍ لإرادَةِ التَّعْميمِ، والامتِناعِ عَنْ أنْ يَقْصِرَهُ السّامِعُ عَلى ما يُذْكَرُ مَعَهُ دونَ غَيْرِه، فالغَرَضُ مِنْ ذِكْرِ الفِعْلِ مُجَرَّدًا الاقْتِصارُ عَلى إثْباتِ مَعْنى الفِعْلِ، لإفادَةِ الوُجودِ المجَرَّدِ في الشَّيْءِ دونَ التَّعَرُّضِ للمعْمولِ[1]، فيُجْعَلُ المتَعَدِّي كَغَيْرِ المتَعَدِّي في أنَّكَ لا تَرى لَهُ مَفْعولًا، لا لَفْظًا ولا تَقْديرًا، وإذا كانَ الكَلامُ مُنْصَبًّا إلى غَرَضٍ مِنَ الأغْراضِ، جُعِلَ سِياقُهُ لَهُ وتَوَجُّهُهُ إلَيْه، كَأنَّ ما سِواهُ مَرْفوضٌ مَطَّرَحٌ[2].

دَلالَةُ الفِعْلِ (هاجَرَ) دونَ (هَجَرَ):

اضْطِهادُ المشْرِكينَ سَبَبُ هِجْرَةِ المؤْمِنينَ

وَرَدَ في قَوْلِه تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ﴾، استِعْمالُ الفعْلِ (هاجَرَ) عَلى وزْنِ (فاعَلَ)، ولَيْسَ (هَجَرَ) عَلى وزْنِ (فَعَلَ)، والنُّكْتَةُ البَلاغِيَّةُ في ذَلِكَ: أنَّ الفعْلَ (هَجَرَ) يُسْتَعْمَلُ عِنْدَما يَكْرَهُ الإنْسانُ الإقامَةَ في مَكانٍ، فيَتْرُكُهُ إلى مَكانٍ آخَرَ يَرى أنَّه خَيْرٌ مِنْهُ، وإنَّما المكانُ نَفْسُهُ لم يُكْرِهْهُ عَلى الهِجْرَةِ فيَتْرُكَ المكانَ مُخْتارًا، وأمّا الفِعْلُ (هاجَرَ)، عَلى وزْنِ (فاعَلَ)، فيَدُلُّ عَلى وُجودِ مُفاعلةٍ مِنَ جانِبَيْنِ، فالفاعِلُ هُنا لَيْسَ كارِهًا للمَكانِ، ولَكِنَّ المفاعَلَةَ الَّتي حَدَثَتْ مِنْ قَوْمِه هِيَ الَّتي اضْطَرَّتْهُ للهِجْرَةِ، وهَذا ما حَدَثَ في هِجْرَةِ المؤْمنينَ مِنْ مَكَّةَ؛ لأنَّهُم لَم يَتْرُكوها إلى غَيْرِها إلّا بَعْدَ أنْ تَعَرَّضوا للاضْطِهادِ والظُّلْمِ، فكَأنَّ المشْرِكينَ بِذَلِكَ شارَكوا في الفعْلِ، فلَوْ لَم يَتَعَرَّضوا لَهُم، ويَظْلِموهُم؛ لما هاجَروا، فلا يُعْقَلُ أنْ يَكْرَهَ الصَّحابَةُ مَكَّةَ وفيها البيْتُ الحرامُ الَّذي يَتَمَنّى كُلُّ مُسْلِمٍ الإقامَةَ في جِوارِه[3].

(1) الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 153.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 8.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 13/ 7939.

سرُّ الإسْنادِ في الفعْلِ ﴿ظُلِمُواْ﴾:

تَحْقيرُ المشْركينَ وإهانَتُهُم بِعَدَمِ ذِكْرِهِم

وَرَدَ في قَولِه تَعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِمَا ظُلِمُواْ﴾، إسْنادُ الفعْلِ ظُلِموا إلى المجْهولِ لِنُكْتَةٍ بَلاغِيَّةٍ، وهِيَ تَرْكُ التَّصْريحِ بالفاعِلِ للدَّلالَةِ عَلى العِلْمِ بِهِ مِنَ السِّياقِ، وهوَ المشركونَ[1]، وحَذْفُ ما يُعلَمُ جائِزٌ؛ إذا دَلَّ عَلَيْهِ المقامُ، ويُمكِنُ أنْ يَكونَ الغرَضُ أيْضًا مِنْ عَدَمِ التَّصْريحِ بالمشْركينَ، هو تحقيرهم، فليسوا أهْلًا للذِّكْرِ.

دَلالَةُ أُسلوبِ القَسَمِ في الآية:

تَحْقيقُ وعْدِ اللهِ ﷻ للمُؤْمنينَ بِثَوابِ الدُّنْيا والآخِرَةِ

وَرَدَ في قَولِه تَعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾ الفعل ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ﴾، مُؤَكَّدًا بِاللّامِ المَوَطِّئَةِ لِلقسَمِ، ونونِ التَّوْكيدِ الثَّقيلَةِ، فالقَسَمُ يُهَيِّئُ نَفْسَ السّامِعِ لِتَوَقُّعِ خَبَرٍ مُهِمٍّ، فجاءَ بِاللّامِ الَّتي لَوْلاها لم يُعْلَم أنَّ في الكلامِ قَسَمًا مُقَدَّرًا، فقَدْ مَهَّدَتْ لَهُ الجوابَ، ولِذا تُسَمّى مُمَهِّدةً ومُؤَذِنَةً[2]، وزادَ التَّأْكيدُ بِنونِ التَّوْكيدِ الشّديدَةِ، لِإفادَةِ تَحْقيقِ الثّوابِ؛ إذْ نونُ التَّوْكيدِ الشَّديدَةُ أقْوى في الدَّلالَةِ عَلى التَّوْكيدِ مِنَ الخفيفَةِ[3]، والغَرَضُ مِنَ المبالَغَةِ في تَأْكيدِ هَذا الخبَرِ، هوَ تَحْقيقُ وعْدِ اللهِ ﷻ للمُؤْمنينَ بِثَوابِ الدُّنْيا والآخِرَةِ.

بَلاغَةُ الالتِفاتِ في الآيَةِ:

إسْنادُ الفِعْلِ إلى المتَكَلِّمِ العظيمِ أبْلَغُ مِنْ إسْنادِهِ إلى الغائِبِ

وَرَدَ في قَولِه تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِمَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾، التِفاتٌ مِنَ الغيْبَةِ في قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ إلى التَّكَلُّمِ في قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ﴾، فأسْنَدَ الفِعْلَ إلى ضَميرِ الجماعَةِ الَّذي يَدُلُّ عَلى التَّعْظيمِ، وعُلوِّ القدْرِ، وتَنْزيلِهِ مَنْزِلَةَ الجمعِ، لِتَعَدُّدِ صِفاتِه الحميدَةِ ومَواهِبِهِ الجزيلَةِ، وحِكْمَةُ هَذا الالتِفاتِ وكَوْنِهِ بِضَميرِ العظَمَةِ، أنَّهُ هوَ سُبْحانَهُ مَنْ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 157.
(2) الشّهاب، عناية القاضي: 2/ 173.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/ 189.

أَقْسَمَ عَلى إثابَةِ المؤْمِنينَ ثَوابًا حَسَنًا في الدُّنْيا والآخِرَةِ، فناسَبَ أنْ يَكونَ السّياقُ في غايَةٍ مِنَ التَّعْظيم؛ لِأنَّهُ مَتى كانَ كَذلِكَ؛ كانَ أدْعى لِتَصْديقِ الموعودِ، فإسْنادُهُ إلى المتكَلِّمِ العظيم، أبْلَغُ مِنْ إسْنادِهِ إلى ضَميرِ الغائِبِ، ولِأنَّ الكلامَ إذا نُقِلَ مِنْ أُسْلوبٍ إلى أُسْلوبٍ؛ كانَ ذَلِكَ أحْسَنَ تَطْرِيَةً لِنَشاطِ السّامِعِ، وإيقاظًا للإصْغاءِ إليْهِ، مِنْ إجْرائِهِ عَلى أُسْلوبٍ واحدٍ[1].

دَلالةُ ذِكْرِ الصِّفَةِ وحَذْفِ الموصوفِ:

ذهابُ النفس في تقدير المحذوف الحسن كل مذهب

لفظ ﴿حَسَنَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، صِفَةٌ لموصوفٍ محْذوفٍ، والحذْفُ يَجْعَلُ النَّفْسَ تَذْهَبُ في تَقْديرِ المحْذوفِ كُلَّ مَذْهَبٍ ممّا يُعْطي السّياقَ ثَراءً وبَلاغَةً، وممّا قيلَ في تَعْيينِهِ في هَذِهِ الآيَةِ ثَلاثَةُ أوْجُهٍ:

الأوَّلُ: أنَّ قَوْلَهُ: ﴿حَسَنَةً﴾ صِفَةٌ للمصْدَرِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا﴾، والتَّقْديرُ: لَنُبَوِّئَنَّهُم تَبْوِئَةً حَسَنَةً، وفي قِراءَةِ عَلِيٍّ ﷺ: (لَنُبَوِّئَنَّهُم إبْواءَةً حَسَنَةً).

الثّاني: (لَنُنْزِلَنَّهُم في الدُّنْيا مَنْزِلَةً حَسَنَةً)، وهِيَ الغلَبَةُ عَلى أهْلِ مَكَّةَ الَّذينَ ظَلَموهُم، وعَلى العرَبِ قاطِبَةً، وعَلى أهْلِ المشْرِقِ والمغْرِبِ.

الثّالِثُ: (لَنُبَوِّئَنَّهُم مَباءَةً حَسَنَةً)، وهِيَ المدينَةُ، حَيْثُ آواهُم أهْلُها ونَصَروهُم، وهَذا قَوْلُ الحسَنِ والشَّعْبِيِّ وقَتادَةَ، والتَّقْديرُ: (لَنُبَوِّئَنَّهُم في الدُّنْيا دارًا حَسَنَةً أوْ بَلْدَةً حَسَنَةً)، يَعْني المدينَةَ[2]، وسِياقُ الآيَةِ يحتمِلُها جَميعًا، وهَذِهِ مِنْ فوائِدِ الحذْفِ لقَصْدِ العُموم.

بَديعُ الطِّباقِ في الآيَة:

مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لله عَوَّضَهُ الله خَيْرًا مِنْهُ

وَرَدَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، الجمعُ بَيْنَ لَفْظَي ﴿هَاجَرُواْ﴾ و﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾، وهوَ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/ 14، وأبو حيّان، البحر المحيط: 1/ 245.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 209.

طِباقٌ يُثيرُ الذِّهنَ، ويَجْذِبُ الانْتِباهَ، ويُقَوّي مَعْنى كَوْنِ الجزاءِ مِنْ جِنْسِ العملِ، وذَلِكَ باعتِبارِ الهِجْرَةِ تَرْكًا للمَوْطِنِ، فجاءَ الجزاءُ بالتَّبْوِئَةِ؛ لِأَنَّهُ جَزاءٌ عَلى تَرْكِ المباءَةِ[1]، فمَنْ تَرَكَ شَيْئًا للّه عَوَّضَهُ اللّهُ خَيْرًا مِنْهُ.

غَرَضُ تَقْديمِ الجارِّ والمجْرورِ ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾:

الاهتمامُ بتعجيلِ البشرى بثوابِ الدُّنْيا قَبْلَ ثَوابِ الآخرة

وَرَدَ تَقْديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ عَلى المَوْصوفِ المَحْذوفِ وصِفَتِهِ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ لِنُكْتَةٍ بَلاغِيَّةٍ، وهِيَ الاهتِمامُ بِتَعْجيلِ البشْرى بِثَوابِ الدُّنْيا قَبْلَ ثَوابِ الآخِرَةِ، فالحسَنَةُ المعَجَّلَةُ تَشْتَمِلُ عَلى تَعْويضِهِم دِيارًا خَيْرًا مِنْ دِيارِهِم، ووَطَنًا خَيْرًا مِنْ وطَنِهِم، وهوَ المدينَةُ، وأموالًا خَيْرًا مِنْ أموالِهِم، وهِيَ ما نالوهُ مِنَ المغانِمِ ومِنَ الخراجِ، وغَلَبَةً لِأَعْدائِهِم في الفُتوحِ، وأهَمُّها فتْحُ مَكَّةَ، وأمنًا في حَياتِهِم بِما نالوهُ مِنَ السُّلطانِ[2].

دَلالَةُ التَّوْكيدِ بالمبتدأ مع لام الابتداء ﴿وَلَأَجْرُ﴾:

يجمعُ اللّهُ لِأَوْلِيائِهِ ثَوابَ الدّارَيْنِ، وثَوابُ الآخِرَةِ أعْظَمُ

في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾، ورَدَ المبْتَدَأُ ﴿وَلَأَجْرُ﴾ مُقْتَرِنًا بِلامِ الابتِداءِ، وهِيَ تُفيدُ تَأْكيدَ مَضْمونِ الجملَةِ الواقِعَةِ بَعْدَها، فلامُ الابتِداءِ تُفيدُ مَفادَ (إنَّ) مِنَ التَّأكيدِ، ويَكْثُرُ دُخولها في صَدْرِ الكلامِ، فلِذَلِكَ قيلَ لَها: لامُ الابْتِداءِ[3]، وقَدْ وردَتْ هُنا في سِياقِ تَأْكيدِ فضْلِ ثَوابِ الآخِرَةِ، وأنَّ اللّهَ يجمَعُ لِأَوْلِيائِهِ ثَوابَ الدّارَيْنِ، وإحْسانُهُ إلَيْهِم في الآخِرَةِ أعْظَمُ[4]، وقَدْ رويَ أنَّ عُمَرَ بْنَ الخطّابِ ﷺ كانَ إذا أعْطى الرَّجُلَ مِنَ المهاجِرينَ عَطاءً قالَ: خُذْ، بارَكَ اللّهُ لَكَ فيهِ، هَذا ما وعَدَكَ اللّهُ في الدُّنْيا، وما ادَّخَرَ لَكَ في الآخِرَةِ أكْثَرُ وأفْضَلُ، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 158.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 158.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 646.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 165.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 165.

دَلالَةُ لَفْظِ ﴿أَكْبَرُ﴾ في الآية:

تَفْضيلُ ثَوابِ الآخِرَةِ على ثَوابِ الدُّنْيا، منهجٌ رشيد في القرآن المجيد

وَرَدَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾، وصْفُ الآخِرَةِ بِلَفْظِ ﴿أَكْبَرُ﴾ عَلى صيغَةِ أفْعَل التَّفْضيل، فيَحْتَمِلُ أنَّهُ يُفيدُ المفاضَلَةَ عَلى بابِها، بمعنى: أنَّ ثَوابَ الآخِرَةِ أعْظَمُ وأنْفَعُ مِنْ ثَوابِ الدُّنْيا، ولم يَذْكُرْ في الآيَةِ المفَضَّلِ عَلَيْهِ، لِدَلالَةِ السّياقِ عَلَيْهِ؛ حَيْثُ سَبَقَ ذِكْرُ ثَوابِ الدُّنْيا، وعَطَفَ عَلَيْهِ ثَوابَ الآخِرَةِ مُفَضِّلًا لَهُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: أكْبَرُ، أيْ: إنَّه أهَمُّ وأنْفَعُ[1]، ويَحْتَمِلُ أنَّهُ بمعنى اسم الفاعل مسلوب المفاضلة، أُتِيَ بِهِ لِتَعْظيمِ ثَوابِ الآخِرَةِ، فيكونُ (أكْبَرُ) بمعنى كبيرٍ، وذَلِكَ مِمّا يُسْتَعْمَلُ فيهِ صيغَةُ أفْعَل، كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45].

بلاغة الجملَةِ الاعْتِراضِيَّةِ ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾:

العِلْمُ الحسِّيُّ أقْوى تَأْثيرًا في المزاجِ الإنْسانِيِّ مِنَ العِلْمِ العَقْلِيِّ

وَرَدَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾، جُملَةُ ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ مُعْتَرِضَةً، وهِيَ اسْتِئْنافٌ بَيانِيٌّ ناشِئٌ عَنْ جُملَةِ الوعْدِ كُلِّها؛ لأنَّ ذَلِكَ الوعْدَ العظيمَ بِخَيْرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ، يُثيرُ في نُفوسِ السّامِعينَ أنْ يَسْألوا كَيْفَ لَم يَقْتَدِ بِهِم مَنْ بَقَوا عَلى الكفْرِ، فتَقَعُ جُملَةُ ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ بَيانًا لِما اسْتُبْهِمَ عَلى السّائِلِ، والتَّقْديرُ: لَوْ كانوا يَعْلَمونَ ذَلِكَ؛ لاقْتَدَوا بِهِم، ولَكِنَّهُم لا يَعْلَمونَ، فضَميرُ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عائِدٌ إلى الَّذينَ كَفَروا، ويَجوزُ أنْ يَكونَ السُّؤالُ المثارُ هوَ: كَيْفَ يَحْزَنُ المهاجِرونَ عَلى ما تَرَكوهُ مِنْ دِيارِهِم وأموالِهِم وأهْليهِم؟ فيَكونُ المعْنى: لَوْ كانَ المهاجِرونَ يَعْلَمونَ ما أُعِدَّ لَهُم عِلمَ مُشاهَدَةٍ؛ لَما حَزِنوا عَلى مُفارَقَةِ دِيارِهِم، ولَكانَتْ هِجْرَتُهُم عَنْ شَوْقٍ إلى ما يُلاقونَهُ بَعْدَ هِجْرَتِهِم؛ لأنَّ تَأْثيرَ العِلْمِ الحسِّيِّ في المزاجِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 158.

الإنسانيِّ أقوى مِنَ العلْمِ العقْليِّ، لِعَدَمِ احْتياجِ العلْمِ الحسِّيِّ إلى اسْتِعْمالِ نَظَرٍ واسْتِدْلالٍ، ولِعَدَمِ اشْتِمالِ العلْمِ العقْليِّ عَلى تَفاصيلِ الكيْفِيّاتِ الَّتي تُحِبُّها النُّفوسُ، وتَرْتَمي إلَيْها الشَّهَواتُ[1].

موقع قوله: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ ودلالته:

استحقاقُ المهاجِرين مَدْحَ رَبِّ العالَمين لتضحياتهم الجسام

وَرَدَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ عِبارَةُ ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ مُرْتَبِطَةً بِالآيةِ قَبْلَها ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾، وفي تَخْريجِ إعْرابِها وُجوهٌ: الأوَّلُ: أنَّهُ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾، والثّاني: أنْ يَكونَ التَّقْديرُ: (هُمُ الّذينَ صَبَروا)، والثّالِثُ: أنْ يَكونَ التَّقْديرُ: أعْني الَّذينَ صَبَروا، وكِلا الوجْهَيْنِ الثّاني والثّالِثِ مَدْحٌ.

والمعْنى: أنَّهُم صَبَروا عَلى العذابِ، وعَلى مُفارَقةِ الوطَنِ الَّذي هوَ حَرَمُ اللّه، وعَلى المجاهَدَةِ وبَذْلِ الأموالِ والأنْفُسِ في سَبيلِ اللّه، فاسْتَحَقّوا مَدْحَ رَبِّ العالَمينَ[2].

دَلالَةُ ترابط الأفعال في سياق الآية:

صَبرُ المهاجِرين على الظُّلْمِ، وتَوَكُّلُهم في الهِجْرَةِ؛ سموٌّ وسموق

يُلاحَظُ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، تقابُلُ المعاني بِتَقابُلِ الألْفاظِ: ﴿صَبَرُواْ﴾ ﴿ظُلِمُواْ﴾، و﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿هَاجَرُواْ﴾؛ وذَلِكَ للتَّلازُمِ الوطيدِ بَيْنَها، فالصَّحابَةُ عِنْدَما ﴿ظُلِمُواْ﴾، واضْطُهِدوا بِسَبَبِ إيمانِهِم؛ أُمِروا بِالصَّبْرِ، فكان أنْ ﴿صَبَرُواْ﴾ عَلى أذى المشْرِكينَ، ثُمَّ أُذِنَ لَهُم بِالهِجْرَةِ بَعْدَ أنْ بَلَغَ الأذى مَداهُ، فـ﴿هَاجَرُواْ﴾ الهِجْرَةَ الأولى إلى الحبَشَةِ، والثّانِيَةَ إلى المدينَةِ، وهُم في كُلِّ ذَلِكَ عَلى رَبِّهِم ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ أنْ يُنَجّيَهُم مِنْ كَيْدِ الكُفّارِ، وأنْ يَنْصُرَهُم عَلى أعْدائِهِم.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 158.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 210.

الغرض من التعبير بأُسلوبِ القصْرِ:

التَّوَكُّلُ مِنَ صلب العِبادَةِ، والعبادَةُ لا تَكونُ إلّا لله

وَرَدَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾، تَقْديمُ الجارِّ والمجْرورِ ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾؛ لإفادَةِ القصْرِ، أيْ: لا يَتَوَكَّلونَ إلّا عَلى رَبِّهِم دونَ التَّوَكُّلِ عَلى سادَةِ المشْرِكينَ[1]، ونُكْتَةُ القصْرِ: أنَّ التَّوَكُّلَ مِنَ العِبادَةِ، والعبادَةُ لا تَكونُ إلّا للّه، وقَدْ جَمَعَ بَيْنَهُما في قَوْلِهِ: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: 123]، وقَدْ جَعَلَهُ اللّهُ شَرْطًا للإيمانِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: 23]، وجَعَلَهُ شَرْطًا للإسْلامِ بِقَوْلِهِ في آيةٍ أُخْرى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾ [يونس: 84]، وقيلَ: تَقْديمُ الجارِّ والمجْرورِ لِرِعايَةِ الفواصِلِ، وهوَ غَيْرُ مُتَعَيَّنٍ[2].

دَلالَةُ الجَمعِ بَينَ الصَّبْرِ والتَّوَكُّلِ:

اليقين بعَجْز الأسْباب دونَ التَّوكُّل عَلى العزيز الوهّاب

في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾، جَمَعَ النَّظْمُ القرْآنيُّ بَيْنَ الصَّبْرِ وضَرورَةِ التَّوَكُّلِ، تَنْبيهًا عَلى أنَّ التَّوَكُّلَ أمرٌ غَيْرُ الصَّبْرِ عَلى تَعاطي أسْبابِ الأشْياءِ، فتَعاطي الأسْبابِ فيما هِيَ مِنْ مَقْدورِ النّاسِ، والتَّوَكُّلُ فيما يَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ، وأكْثَرُ النّاسِ لا يَعْلَمونَ ضرورةَ تَطَلُّبِ الأمرَيْنِ، فيُهْمِلونَ أحَدَهُما، فمِنْهُم مَنْ يُهْمِلُ مَعْرِفَةَ أنَّ الأسْبابَ الظّاهِرِيَّةَ لا تَدْفَعُ أمرًا قَدَّرَهُ اللّهُ، وعَلِمَ أنَّهُ واقِعٌ، ومِنْهُم مَنْ يُهْمِلُ الأسْبابَ، وهوَ لا يَعْلَمُ أنَّ اللّهَ أرادَ في بَعْضِ الأحْوالِ عَدَمَ تَأْثيرِها[3]، فيَجِبُ عَلى المسْلِمِ أنْ يَتَّخِذَ الأسْبابَ، ثُمَّ يَتَوَكَّلَ عَلى الكَريمِ الوَهّابِ، وأمّا تَرْكُ الأسْبابِ بِحُجَّةِ التَوَكُّلِ؛ فهوَ دَليلٌ عَلى نَقْصِ العقْلِ، والتَّعْويلُ عَلى الأسْبابِ خَدْشٌ في التَّوْحيدِ، وبُعْدٌ عَنِ الصَّوابِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 160.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 385.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/ 25.

دَلالَةُ اسْتِعْمالِ لَفْظِ الرُّبوبِيَّةِ ﴿رَبِّهِمْ﴾:

واجِبُ العبيدِ في التَّوَكُّلِ عَلى مُرَبّيهِم بِالنِّعَمِ

وَرَدَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، التَّعْبيرُ بِوَصْفِ ﴿رَبِّهِمْ﴾ دونَ سِواهُ مِنَ أَسْماءِ اللّه وصِفاتِه؛ لِما في وصْفِ الرُّبوبيَّةِ مِنَ الدِّلالَةِ عَلى الشَّفَقَةِ بِالمرْبوبِ، ومَحَبَّةِ الخيْرِ لَهُ، وللتَّنْبيهِ عَلى أَنَّ واجِبَ العبيدِ التَّوَكُّلُ عَلى مُرَبّيهِم بِالنِّعَمِ، ولِتَتَأَتّى الإضافَةُ المفيدَةُ للتَّشْريفِ والقُرْبِ، فهوَ رَبُّهُم[1]، فالمتَوَكِّلُ عَلى رَبِّهِ مُحِبٌّ لَهُ، مُعْتَمِدٌ عَلَيْهِ بِقَلْبِهِ، مُلْتَجِئٌ إِلَيْهِ، واللّهُ يُحِبُّهُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: 159].

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ في ﴿صَبَرُواْ﴾ و﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾:

دِقَّةُ البَيانِ الْقُرْآنِيِّ في اخْتِيارِ أَزْمِنَةِ الأَفْعالِ

وَرَدَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، التَّعْبيرُ في جانِبِ الصَّبْرِ بِالمضِيِّ، وفي جانِبِ التَّوَكُّلِ بِالمضارِعِ؛ إيماءً إلى أَنَّ صَبْرَهُم قَدْ آذَنَ بِالانْقِضاءِ، لانْقِضاءِ أَسْبابِه، وأَنَّ اللّهَ قَدْ جَعَلَ لَهُم فرَجًا بِالهجْرَةِ، فهَذا بِشارَةٌ لَهُم، وأَنَّ التَّوَكُّلَ دَيْدَنُهُم؛ لأَنَّهُم يَسْتَقْبِلونَ أَعْمالًا جَليلَةً تَتِمُّ لَهُم بِالتَّوَكُّلِ عَلى اللّهِ في أُمورِهِم، فهُم يُكَرِّرونَهُ، وفي هَذا أيضًا بِشارَةٌ بِضَمانِ النَّجاحِ[2]، ووُرودُ التَّوَكُّلِ أَيْضًا بِصيغَةِ المضارِعِ يَحْتَمِلُ الدَّلالَةَ عَلى الاسْتِمرارِ، أَوْ لاسْتِحْضارِ تِلْكَ الصّورَةِ البديعَةِ مِنْ حَياةِ الصَّحابَةِ[3].

دَلالَةُ تَقْديمِ لفظ ﴿صَبَرُواْ﴾ عَلى ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾:

الاهْتِمامُ بِالصَّبْرِ لِتَقَدُّمِهِ على التَوَكُّلِ

وَرَدَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، تَقْديمُ الصَّبْرِ عَلى التَّوَكُّلِ لِغَرَضِ الاهْتِمامِ؛ وذَلِكَ لأَنَّ مِنْ شُروطِ التَّوَكُّلِ أَنْ يَتَقَدَّمَها تَحْصيلُ أَسْبابٍ، فيَجِبُ عَلى المسْلِمِ الصَّبْرُ في تَحْصيلِها لامْتِثالِ أَمرِ اللّهِ في الجمعِ بَيْنَ إِعْدادِ ما اسْتَطاعَ مِنْ أَسْبابٍ، ثُمَّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/ 202.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 159.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 385.

التَّوَكُّلُ عَلى مُسَبِّبِ الأسْبابِ سُبْحانَهُ، وهَذا هوَ مَعْنى التَّوَكُّلِ الَّذي يَضِلُّ في فهْمِهِ كَثيرٌ مِنَ النّاسِ اقْتِصارًا وإنْكارًا[1]، فأكْثَرُهُم لا يَصْبِرونَ عَلى تَطَلُّبِ الأمرَيْنِ، فيُهْمِلونَ أحَدَهُما، فيَقَعُ الخَلَلُ.

الصَّبْرُ والتَّوَكُّلُ طَريقا الفَوزِ بِثَوابِ الدُّنْيا والآخِرَةِ

التّشابُهُ اللّفْظِيُّ في الآية:

قالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وقالَ سُبْحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٥٩﴾ [العنكبوت: 58 - 59]، ووَجْهُ المغايَرَةِ بَيْنَهُما مِنْ جِهَةِ السِّياقِ: أنَّ آيَةَ النَّحْلِ في ذِكْرِ ثَوابِ المهاجِرينَ في سَبيلِ اللهِ، فبَيَّنَ سُبْحانَهُ سَبَبَ فوْزِهِم بِثَوابِ الجنَّةِ، وهوَ هِجْرَتُهُم في سَبيلِ مَرْضاةِ اللهِ، فتَرَكوا دِيارَهُم مِنْ أجْلِ اللهِ، بَعْدَما وقَعَ عَلَيْهِمُ الظُّلْمُ، فوَعَدَهُمُ اللهُ بِدارٍ حَسَنَةٍ في الدُّنْيا، وثَوابٍ أكْبَرَ في الآخِرَةِ، وهوَ الجنَّةُ، وأمّا آيَةُ العنْكَبوتِ فمَعْطوفَةٌ عَلى جُمْلَةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [العنكبوت: 52]، فجاءَ في هَذِهِ الآيةِ التَّنْبيهُ عَلى سَبَبِ إسْكانِهِم غُرَفًا في الجنَّةِ، وهوَ مِنْ أجْلِ إيمانِهِم وعَمَلِهِم الصّالِحِ[2]، فتَكونُ آيَةُ العَنْكَبوتِ أعَمَّ، وآيَةُ النَّحْلِ أخَصَّ مِنْ هَذا الجانِبِ؛ إذِ الهِجْرَةُ لا تَكونُ إلّا بِدافِعِ الإيمانِ باللهِ، ويَظْهَرُ الفرْقُ بَيْنَهُما مِنْ جانِبٍ آخَرَ، وهوَ اشْتِمالُ آيَةِ النَّحْلِ عَلى ثَوابِ الدُّنْيا، بِقَوْلِهِ: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾، والوعْدِ بِثَوابِ الآخِرَةِ، في حينِ لم تَشْتَمِلْ آيَةُ العنْكَبوتِ إلّا عَلى ثَوابِ الآخِرَةِ، ومِمّا يُلاحَظُ أيْضًا أنَّهُ مَعَ تَشابُهِ الآيَتَيْنِ، إلّا أنَّ آيَةَ النَّحْلِ أجْمَلَتْ ثَوابَ الآخِرَةِ ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ﴾، في حينِ أنَّ آيَةَ العنْكَبوتِ فصَّلَتْهُ تَفْصيلًا، فقالَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/ 23.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 23.

سُبْحانَهُ: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [العنكبوت: 58]، وخُتِمَتْ كِلْتا الآيَتَيْنِ بِذِكْرِ الصَّبْرِ والتَّوَكُّلِ؛ تَنْبيهًا عَلى أنَّهُما طَريقا الحصولِ عَلى ثَوابِ الدُّنْيا والآخِرَةِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(هاجَروا) و(هَجَروا):

زِيـــادةُ المبْنى تَسْتَلْزِمُ زِيـادَةَ المعْنى غالِبًا

يَتَّضِحُ الفَرْقُ بَيْنَ لَفْظَيْ (هاجَروا) و(هَجَروا)، بِالنَّظَرِ إلى الصّيغَةِ الصَّرْفِيَّةِ لكلٍّ مِنْهُما، فالفعْلُ (هاجَرَ) عَلى وزْنِ (فاعَلَ)، والفعْلُ (هَجَرَ) عَلى وزْنِ (فَعَلَ)، ولا شَكَّ أنَّ زِيادَةَ المبْنى تَسْتَلْزِمُ زِيادَةَ المعْنى غالِبًا، فزِيادَةُ الفعْلِ (هاجَرَ) بِحَرْفِ الألِفِ وكَوْنُهُ عَلى وزْنِ (فاعَلَ)؛ يَدُلُّ عَلى وُجودِ مُفاعَلَةٍ ومُشارَكَةٍ مِنَ جانِبَيْنِ، فالمهاجِرُ لا رَغْبَةَ لَهُ في تَرْكِ مَوْطِنِهِ، ولَكِنَّ المفاعَلَةَ الَّتي حَدَثَتْ مِنْ قَوْمِهِ هِيَ الَّتي اضْطَرَّتْه للهِجْرَةِ، ويَشْهَدُ لهَذا ما حَدَثَ لِلنَّبيِّ ﷺ والمؤمِنينَ الَّذينَ أُجْبِروا عَلى الخروجِ مِنْ مَكَّةَ؛ فكَأنَّ المشركينَ بِذَلِكَ شارَكوا في الفِعْلِ، فلَوْ لم يَتَعَرَّضوا لَهُم، ويَظْلِموهُم؛ لما هاجَروا، والدَّليلُ عَلى صِحَّتِهِ ما رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بنِ الحمراءِ رضي الله عنه أنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقولُ وهوَ واقِفٌ بِالحَزْوَرَةِ في سوقِ مَكَّةَ: "واللهِ إنَّكِ لَخَيْرُ أرْضِ اللهِ، وأحَبُّ أرْضِ اللهِ إلَى اللهِ، ولَوْلا أنّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ ما خَرَجْتُ"[1]، وما رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ لِمَكَّةَ: "ما أطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وأحَبَّكِ إلَيّ، ولَوْلا أنَّ قَوْمي أخْرَجوني مِنْكِ ما سَكَنْتُ غَيْرَكِ"[2]، وأمّا (هَجَرَ) فيُسْتَعْمَلُ عِنْدَما يَكْرَهُ الإنْسانُ الإقامَةَ في مَكانٍ، فيَتْرُكُهُ إلى مَكانٍ آخَرَ يَرى أنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُ، وإنَّما المكانُ نَفْسُهُ لم يُكْرِهْهُ عَلى الهِجْرَةِ، فيَتْرُكُ المكانَ مُخْتارًا[3].

(1) رواه التِّرْمِذِيُّ في الجامع وصحّحه، الحديث رقم: (7089).
(2) رواه التِّرْمِذِيُّ في الجامع وصحّحه، الحديث رقم: (3629).
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 13/ 7939.

الظُّلْم والبَغْي:

البَغْيُ طَلَبُ تجاوُزِ قدرِ الاستِحقاقِ، والظُّلْمُ نُقصانُ الحقِّ

يَتَّضِحُ الفرْقُ بَيْنَ لفظَي (الظُّلْم) و(البغْي) في المعْنى الدَّلاليِّ لكلٍّ مِنْهُما، فبينهما عُمومٌ وخُصوصٌ، فالبَغْيُ أعَمُّ مِنَ الظُّلْم؛ لِأنَّ البَغْيَ مِنْهُ ما هوَ مَحْمودٌ مَطْلوبٌ، ومِنْهُ ما هوَ مَذْمومٌ، وهَذا الَّذي شاعَ في طَلَبِ ما لِلْغَيْرِ بِدونِ حَقٍّ، فصارَ بِمَعْنى الظُّلْمِ مَعْنًى ثانيًا[1].

وَيُؤَكِّدُ هَذا الفرْقَ الأصْلُ اللُّغَويُّ لِكَلِمَةِ (البغْي)، فالباءُ والغيْنُ والياءُ أصْلانِ: أحَدُهُما طَلَبُ الشَّيْءِ، والثّاني جِنْسٌ مِنَ الفسادِ، فمِنَ الأوَّلِ: بَغَيْتُ الشَّيْءَ أبْغِيهِ؛ إذا طَلَبْتُهُ، ويُقالُ: بَغَيْتُكَ الشَّيْءَ: إذا طلبته لك، وأبْغَيْتُكَ الشَّيْءَ: إذا أعنتك على طَلَبِهِ، والأصْلُ الثّاني: قَوْلُهُم: بَغى الجرْحُ؛ إذا تَرامى إلى فسادٍ، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْ هَذا ما بَعْدَهُ، فالبَغِيُّ: الفاجِرَةُ، ومِنْهُ أنْ يَبْغِيَ الإنْسانُ عَلى آخَرَ، وهوَ الظُّلْمُ[2]؛ لِأنَّ فيهِ فسادًا، ومِنَ الفروقِ أيضًا أنَّ البَغْيَ طَلَبُ تجاوُزِ قَدرِ الاستِحْقاقِ؛ تَجاوَزَهُ أوْ لَم يَتَجاوَزْهُ، ويُسْتَعْمَلُ في المتكَبِّرِ؛ لِأنَّهُ طالِبُ مَنْزِلَةٍ لَيْسَ لَها بِأهْلٍ[3]، أمّا الظُّلْمُ فأصْلُهُ نُقْصانُ الحقِّ[4]، وتَتَفاوَتُ دَرَجاتُهُ مِنْ صَغائِرِ الذُّنوبِ إلى كَبائِرِها إلى الشِّرْكِ بِاللّه ﷻ.

الآخِرَة والأوْلى:

الآخِرَةُ باقِيَةٌ خالِصَةٌ من الشَّوائِبِ، والأولى فانِيَةٌ مَشوبَةٌ بِالمضارِّ والمتاعِب

يَتَّضِحُ الفرْقُ بَيْنَ لفظَي ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ و﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ في المعْنى الدَّلاليِّ لكلٍّ مِنْهُما، ويَظْهَرُ أنَّ بَيْنَهُما عَلاقَةَ تَضادٍّ، فالأولى مُؤَنَّثُ أوَّلٍ، وتَرْجِعُ مادَّتُهُ (الهمزَةُ والواوُ واللّامُ) إلى أصْلَيْنِ هُما: ابْتِداءُ الأمرِ وانْتِهاؤُهُ، أمّا الأوَّلُ فهو مُبْتَدَأُ الشَّيْءِ، والمؤَنَّثَةُ الأولى، مِثْلُ أفْعَلَ وفُعْلى[5]، وأمّا الآخِرَةُ فهِيَ مُؤَنَّثُ الآخِرِ، وتَرْجِعُ مادَّتُهُ (الهمزَةُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 159.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بغي).
(3) الكفويّ، الكلّيات، ص: 584.
(4) العسكريُّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 231.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أول).

والخاءُ والرّاءُ) إلى أصْلٍ واحِدٍ، وهوَ خِلافُ التَّقَدُّمِ، فالآخِرُ نَقيضُ المتَقَدِّمِ، وجِئْتُ في أُخْرَياتِهِم، وأُخْرى القوْمِ[1]، ويَظْهَرُ التَّضادُّ أيْضًا بَيْنَ لفظَيِ ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ و﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ في اصْطِلاحِ القرْآنِ، فقَدْ غَلَبَ لَفْظُ الآخِرَةِ فيه عَلى الحياةِ الآخِرَةِ، وعَلى الدّارِ الآخِرَةِ، كَما غَلَبَ لَفْظُ الأولى عَلى حَياةِ النّاسِ الَّتي قَبْلَ انْخِرامِ هَذا العالَمِ، فالآخِرَةُ هِيَ الحياةُ الآخِرَةُ، وتَأْنيثُ وصْفِ الآخِرَةِ، مَنْظورٌ فِيهِ إلى أنَّ المرادَ إجْراؤُهُ عَلى مَوْصوفٍ مُؤَنَّثِ اللَّفْظِ، حُذِفَ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمالِهِ وصَيْرورَتِهِ مَعْلومًا، وهوَ يُقَدَّرُ بالحَياةِ الآخِرَةِ مُراعاةً لِضِدِّهِ، وهوَ الحياةُ الدُّنْيا، أيِ: القرِيبَةُ بِمَعْنى الحاضرة، ولِذَلِكَ يُقالُ لَها: العاجِلَةُ[2]؛ ولِهَذا قالَ تَعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾ [الضحى: 4]، فإنَّها باقِيَةٌ خالِصَةٌ عَنِ الشَّوائِبِ، وهَذِهِ فانِيَةٌ مَشوبَةٌ بِالمضارِّ[3]، وأعْظِم بِهذا فرْقًا بَيْنَهُما!

(صَبَروا) و(صابَروا):

الصَّبْرُ يكون في الأنْفُس، والمصابرةُ تكون على الأعْداء

يَشْتَرِكُ كُلٌّ مِنَ لَفْظَيْ (صَبَروا) و(صابَروا) في الأصْلِ اللُّغَوِيِّ، وهوَ (صَبَرَ)، ومَعْناهُ في اللُّغَةِ: الحبْسُ[4] والإمساكُ في ضَيْقٍ، ومِنْهُ: دابَّةٌ مَصْبورَةٌ، والصَّبِرَةُ مِنَ الطَّعامِ للجَمعَةِ مِنْهُ[5]، وأمّا الصَّبْرُ في اصْطِلاحِ الشَّرْعِ فهوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَلى كُلِّ ما يَشُقُّ عَلَيْها، ويُخالِفُ هَواها، مِنْ فِعْلِ المأْموراتِ، وتَرْكِ المنْهِياتِ، وعَدَمِ الجزَعِ عِنْدَ المصائِبِ.

ويَظْهَرُ الفرْقُ بَيْنَ لَفْظَيْ (صَبَروا) و(صابَروا) في مَعْنى الصّيغَةِ الصَّرْفِيَّةِ، فلَفْظُ (صَبَر) عَلى وزْنِ (فَعَلَ)، بِمَعْنى: حَبَسَ الإنْسانُ نَفْسَهُ فحسب عَلى جَميعِ مَعاني طاعَةِ اللّهِ، فيما أمَرَ ونَهى، صَعْبِها

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أخر).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 159.
(3) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 5/ 319.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صبر).
(5) الرّاغب، المفردات: (صبر).

وشَديدِها، وسَهْلِها وخَفيفِها، وأمّا لَفْظُ (صابَرَ)؛ فهوَ عَلى وزْنِ (فاعَلَ)، ولا شَكَّ أنَّ زِيادَةَ المبْنى تَسْتَلْزِمُ زِيادَةَ المعْنى غالِبًا، فزِيادَةُ الفعْلِ (صابَرَ) بِحَرْفِ الألِفِ وكَوْنه عَلى وزْنِ (فاعَلَ)، يَدُلُّ عَلى وُجودِ مُفاعَلَةٍ ومُشارَكَةٍ مِنْ فريقَيْنِ، أوِ اثْنَيْنِ فصاعِدًا، ولا تَكونُ مِنْ واحِدٍ إلّا قَليلًا في أحْرُفٍ مَعْدودَةٍ، فيَكونُ (صابَرَ) بِمَعْنى: غالَبَهُ بالصَّبْرِ، وهَذا يَكونُ في مُلاقاةِ الأعْداءِ، فالعَدوُّ يُصابِرُكَ وأنْتَ تُصابِرُهُ؛ ولِهذا أُمِرَ المؤْمِنونَ أنْ يُصابِروا غَيْرَهُم مِنْ أعْدائِهِم حَتّى يُظَفِّرَهُمُ اللّهُ بِهِم، ويُعْلِيَ كَلِمَتَهُ، ويُخْزِيَ أعْداءَهُم، وأنْ لا يَكونَ عَدوُّهُم أصْبَرَ مِنْهُم[1]، وقدِ اجْتَمَعَ أمرُ اللّه للمؤْمِنينَ بكلٍّ مِنَ (الصّبْرِ) في أنفسِهم، و(المصابَرَةِ) عَلى عَدوِّهِم؛ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: 200].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 6/ 335.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-23-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26 : المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-23-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»